الفصل الثالث

أسباب حدوث سلوك إيذاء الذات

الفصل الثالث

أسباب حدوث سلوك إيذاء الذات

Etiology (history and causes)[1]

١- الصدمات الماضية ، الضعف (الوهن) كمقدمات :

إجريت دراسات حول تأثير الصدمات الماضية Past- trauma[2] والبيئات المضعفة invalidation[3] باعتبارها مقدمات لسلوك إيذاء الذات.

---

(١) علم مسببات الأمراض Etiology : استقصاء أسباب ظاهرة أو سلسلة ظواهر معينة. وفى الطب استقصاء علة مرض أو أمراض، العوامل السببية المهيئة والمعجلة التى تسفر عن اضطراب . استقصاء العلاقات الصلبة فى الأمراض : دراسة أسباب أو بدايات أخذ الأقراض. ولاينبغى استعمال اللفظ للسبب ذاته بل دراسة أصل الداء وعلته واستقصاء طبيعة واستجابة الانسجة المصابة، واستجابة الشخصية ككل لنتائج المرض (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس ، جـ١، القاهرة : الدار الدولية للنشر١٩٨٨، ٥٠٩).

(٢) صدمة أو اصابة Trauma : أى اصابة جارحة : جسمية كانت أو نفسية فى صورة صدمة انفعالية تحدث اختلالاً مستديماً قل أو كثر نلوظائف العقلية، ويتسع اللفظ فتدخل فيه الصدمات النفسية وخيبة الأمل القاسية ، وأى مشاهد مأسوية. آية خبرة توقع بالكائن تلفاً جسمياً أو ضرراً نفسياً. وفى التحليل النفسى : أى اثارة تنبيه من الشدة بحيث لايمكن التحكم فيها أو تفريغها بكفاية (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس، جـ٢، القاهرة. وكالة الاهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٥٢٨).

(٣) البيئات المضعفة أو المومنة Invalidating environments : اسم أطلقه لينهان Linehan (١٩٩٣) على البيئة المريضة وغير الصالحة، وهى بيئة رافضة أو تستجيب بشكل شاذ وغير مناسب للخبرات الخاصة. ويجهز الآباء بيئة غير مناسبة عندما يهملون أحاسيس ومشاعر أطفالهم ويواصلون اسهامهم فى سلوك أطفالهم المتمثل فى الكسل والبخل والخسة والدالة والمراوغة أو التحايل... وخصائص أخرى غير مناسبة ، مؤكدين على الضبط والرقابة بدلاً من الاهتمام بالتعبير المناسب عن الانفعالات، دون مراعاة إلى أى حد يسهل على الطفل مواجهة المواقف الصعبة، وتمثل الاساءة الجنسية نموذجاً واضحاً للخبرة غير المناسبة للأفراد الذين يعانون من اضطرابات حادة فى الشخصية (محمد السيد عبدالرحمن : علم الامراض النفسية والعقلية. جـ٢، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ٤٠٥).

فلقد قام كلاً من ڤاندر كولك ، وبرى ، وهيرمان ,Vander Kolk Perry and Herman (١٩٩١) باجراء دراسة على عينة من مؤذىً الذات الذين استخدموا سلوك القطع (التشويه البدنى) والانتحار ممن تعرضوا لاساءة المعاملة كأطفال child Abuse[١] فوجدوا أن التعرض للعقاب البدنى أو الإيذاء الجنسى، أو الأهمال البدنى أو الأهمال الانفعالى أو حالة التشويه الأسرى (والتى تحدث فى مرحلة الطفولة، ومرحلة الكمون latency ، ومرحلة المراهقة) كلها تعد مؤشرات ومنبئات بمقدار وشدة القطع.

وكلما بدأت اساءة المعاملة مبكراً كان الأفراد أكثر احتمالاً لممارسة القطع، (التشويه البدنى) وكان القطع شديداً . إن ضحايا الاساءة الجنسية Sexual abuse أكثر إحتمالاً لأن يقوموا بسلوك القطع. ولقد لخص الباحثون ذلك بقولهم:

> " إن الإهمال يعد أكبر منبئ بسلوك تدمير الذات . وهذا ما يتضمن أنه برغم أن صدمة مرحلة الطفولة تساهم بشكل كبير فى مبادأة سلوك تدمير الذات، فإن الإفتقار إلى التعلق

---

(١) اساءة معاملة الأطفال Child Abuse : الأفراط المتعمد فى استخدام القوة المفروضة على الطفل.. ويوجد نوعان من الاساءة . الأولى : الاساءة البدنية : ويستدل عليها من الحاق أى ضرر جسمى كنتيجة لأفعال من جانب الوالدين أو أولياء الأمور أو أحد الراشدين ينتهك المعايير الاجتماعية الخاصة بمعاملة الأطفال عن طريق : العقاب البدنى، الدفع، الركل، الضرب بشدة أو بأشياء حادة ، استخدام العنف.. والنوع الثانى: الاساءة الجنسية : وتتضمن اجبار الطفل بالقوة على ممارسة نشاط جنسى، أو أن يفرض مراهق أو راشد نفسه على الطفل ويعتدى عليه جنسياً، أو الاستثارة لأطفال دون سن البلوغ من أفراد أكبر منهم.. وقد يدخل فى اساءة معاملة الأطفال النبذ والاهمال والتهديد والاذلال (انظر حسن مصطفى، هدى قناوى : علم نفس النمو، جـ٢، (المظاهر والتطبيقات). القاهرة . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ٢٨١). وقد يضاف الى اساءة معاملة الاطفال الاساءة العاطفية فى صورة النقد والأهمال، والنبذ والقسوة، وتكليف الطفل بما لايطيق ...الخ .

الآمن Secure attachment[1] يبقى على هذا السلوك المخرب للذات. انهم أولئك الذين لايستطيعون تذكر المشاعر الخاصة أو لايستطيعون أن يحبوا أو أن يحبهم شخص ما عندما كانوا أطفالاً ... فإننا نجدهم على الأقل غير قادرين على ضبط سلوك تدمير الذات".

وفى نفس المقالة لاحظ فاندر كولك وزملاؤه .Vander Kolk et al أن الانفعال وتكرار الخبرات الانفعالية يتصل بوجود سلوك إيذائى للذات . إن الانفعال فى مرحلة الرشد يتصل إيجابياً بسوء المعاملة، الإهمال، الصدمة التى تعرض لها الفرد وهو طفل.

---

(١) التعلق attachment : انجذاب أو اعتماد انفعالى بين شخصين . حالة كون المرء منجذباً انفعالياً لشخص معتمد عليه اعتماداً كلياً فى اشباعاته الانفعالية (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس ، جـ١، القاهرة : الدار الدولية للنشر ، ١٩٨٨، ١٤٣). وهو الميل من جانب الطفل للبحث عن عضو آخر من نفس النوع .. ان التعلق يتركز عادة على أفراد معينين فقط ، فى حين تظهر استجابات الخوف - بالنسبة لأفراد آخرين. فصغار الأطفال يبحثون عن اتصال بصرى أو سمعى أو جسدى أو قرب من الفرد الذى يتعلق به .. وهناك دليل آخر على التعلق هو احتجاج الصغير أو حزنه عندما ينفصل عن الفرد الذى يتعلق به . أى فى حالة الانفصال عن الوالد كقاعدة آمنه يكتشف من خلالها البيئة ، يتضمن ذلك : الاقتراب من الوالد، والخوف من الغرباء، الابتسام والتحدث للأب أو التعلق بالوالد ... وفى معظم الأبحاث اتجهت سلوكيات التعلق هذه نحو الأم، وان كان بعض الأطفال يتعلقون بالأب. وقد ساهمت الأبحاث فى اطار نظريات التحليل النفسى، والتعلم بأبحاث وفيرة فى هذا المجال لتفسير سلوك التعلق الطفلى، كما أظهرت نظريات وأبحاث هادو وجون بولبى وشافر وامرسون طبيعة عملية التعلق فى الطفولة والآثار الجسمية والسيكولوجية المرتبطة بالتعلق الطفلى (راجع : حسن مصطفى، هدى قناوى: علم نفس النمو . جـ٢، (المظاهر اوالتطبيقات)، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ٢٨٦-٣٠٩).

ولقد كان أكثر مؤيد لنظرية **أن إساءة المعاملة البدنية والجنسية وصدمة الطفولة تعد مقدمات هامة لهذا السلوك** هى تلك المقالة التى نشرت فى المجلة الأمريكية للطب النفسى عام ١٩٨٩، فلقد قدم جرينسبان وصمويل Greenspan and Samuel ثلاث حالات للنساء اللاتى سلكن سلوك قطع الذات بدون أى أعراض نفسية مرضية ولكن تعرضن لصدمة الاغتصاب traumatic rape (١) .

انضعف (الوهن) مستقل عن إساءة المعاملة

Invalidation independent of abuse

برغم أن سوء المعاملة البدنية والجنسية قد تعجل بحدوث سلوك تدمير الذات فإن العكس لايحدث، اذ أن كثيراً من الذين يقومون بإيذاء الذات لم يعانوا من أى إساءة فى مرحلة الطفولة.

ولقد أوضح زويج – فرانك وآخرون .Zweig - Frank et al (١٩٩٤) أنه لاتوجد علاقة على الإطلاق بين إساءة المعاملة والانفصال (الانشقاق أو

---

(١) الاغتصاب rape : أى نشاط جنسى يفرض بالقوة أو يجبر عليه فرد آخر . وتتباين ضحايا الاغتصاب بين أطفال فى سن ما قبل المدرسة الى نساء فى الثمانينيات من العمر. وكما هو متوقع فان الجانى فى أغلب الحالات يكون من الذكور ، وكثيراً ما لايراعى المغتصب ذوقاً جمالياً أو تفضيلاً فى اختيار موضوعات اعتدائه الجنسى، فقد يقرر اغتصاب أى امرأة يقابلها، وكثيراً ما يلحق المتغصبون أضراراً جسيمة بضحاياهم أو يقتلونهم بقسوة ، وليس غريباً بالنسبة للنسوة المقاومات لمهاجمين تلقى اصابات جسمية خطيرة ككسر الضلوع ورضوض العظام وكدمات البطن وهرس الثديين ومختلف الاصابات الراجعة الى الايلاج بالقوة ، واذا اجتمع عدد من الجناه فان الأذى يكون بالغاً جسمياً ونفسياً ويترك آثاره على الحالة النفسية للأنثى مع زوجها فيما بعد (كمال دسوقى : علم الأمراض النفسية : التصنيفات والأعراض المرضية. بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤، ٣٧٢).

التفكك) dissociation [1] وإيذاء الذات بين المرضى نوى اضطرابات الشخصية .

كما أوضحت الدراسة التتبعية التى أجراها برودسكى وآخرون Brodsky et al. (١٩٩٥) أن سوء معاملة الطفل ليست علامة للانفصال وإيذاء الذات وهو فى مرحلة الرشد . ونظراً لما أسفرت عنه هذه الدراسة ودراسات أخرى بالإضافة الى الملاحظات الشخصية : فانه صار من الواضح أن هناك بعض السمات الأساسية التى تظهر فى الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات ولاتظهر فى غيرهم. وأن العامل المسبب لذلك هو شئ أكثر من إساءة معاملة الطفل.

وقد ذكر لينهان Linehan (١٩٩٣-أ) أن الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات نشئوا فى "بيئات ضعيفة واهنة " . فإذا كان البيت سيئ المعاملة بالتأكيد نطلق عليه "البيت الضعيف" مثلما يحدث فى بعض المواقف " الطبيعية" . وفى ذلك يقول لينهان Linehan :

" إن البيئة الضعيفة (المعتلة) هى تلك التى يواجه الطفل فيها تواصل فى الخبرات الخاصة باستجابات خاطئة أو غير

---

(١) التفكك أو الانفصال dissociation : تقطع الروابط من أى نوع فى أى ضرب من الترابط أو الانضمام . وهو مفهوم يدل على انشقاق عناصر عقلية معينة عن بقية العناصر . والتفكك التدريجى للشعور الموحد يسمى بالتحلل disruption ، والعناصر المفككة أو المنفصمة توجد فى الشعور أو فى اللاشعور حيث تزاول أثرها الضخم على سلوك الفرد. والتفكك أو التشقق قوامه تفتت النفسية مع وجود فى نفس الوقت لمظاهر مرضية واستجابات سوية ، وافتراق بين الفكرة والتعبير عنها . وتدل على الانفصال عن الشخصية ككل ، ونمط مركب لعمليات سيكولوجية قد تؤدى حينئذ وظائفها فى استقلال عن بقية الشخصية (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس، جـ١، القاهرة : الدار الدولية للنشر ، ١٩٨٨، ٤١٠).

مناسبة أو متطرفة .. وبمعنى آخر فإن التعبير عن الخبرات الخاصة لا تكون ضعيفة ولكن دائماً يعاقب أو يهان عليها.

إن خبرة ومعايشة الانفعالات المؤلمة لا ينظر اليها بعين الاعتبار، فى حين أن تفسيرات الأفراد لسلوكياتهم الخاصة تشمل مقاصد ودوافع السلوك ...

إن الضعف له سمتين أساسيتين هما :

أولاً : أن يخبر الفرد أنه على خطأ فى وصفه وتحليله لخبراته الشخصية وخصوصاً رؤيته لأسباب أنفعالاته ومعتقداته وأفعاله .

ثانياً: أنه ينسب خبراته إلى سمات إجتماعية غير مقبولة أو إلى سماته الشخصية.

وهذا الضعف قد يكون له أشكال متعددة :

* " أنت غاضب ولكنك لاتريد أن تعترف بذلك".
* " أنت تقول لا ، ولكنك تريد نعم ، وأنا أعرف ذلك".
* " أنت بالفعل تفعل ذلك . كفاك كذباً (وأنت تعلم أنك لم تفعلها)".
* " أنت سريع الحساسية".
* " أنت كسول جداً" .
* " لن أدعك تتعامل معه هكذا".
* " إبتهج وإنسى. إنى أعلم أنى قادر على الشفاء".
* " أنظر إلى الأشياء بتفاؤل وكفاك تشاؤم".
* " إنك لم تحاول بما فيه الكفاية والجدية".
* " سأعطيك شيئاً تبكى عليه".

أن كل إنسان يعايش هذه المواقف من وقت لآخر، ولكن بالنسبة للذين نشأوا فى بيئات معتلة فإن هذه الرسائل والمواقف يستقبلونها بشكل دائم. وقد يكون الوالدان يقصدونها بشكل سليم وجيد ولكنها تؤثر سلبياً على

مشاعر الطفل الذى يعبر عنها ، والنتيجة هى إعتلال غير مقصود . وقد يؤدى الإعتلال المزمن الى إعتلال الذات وتدمير الذات تحت الشعورية Subconscious [1] أو " أنا لا أبالى" – تلك هى المشاعر التى وصفها فاندر كوك وآخرون Vander Kolk et al.

٢-وجهات النظر البيولوجية والكيمياء العصبية :

Biological Considerations and Neurochemistry

لقد أوضح كارلسون Carlson (١٩٨٥) أن إنخفاض مستويات السيروتونين Serotonin [2] يؤدى إلى زيادة السلوك العدوانى عند الفئران. وفى هذه الدراسة فإن موانع السيروتونين تزيد من العدوان وأن الأشياء التى توجد السيرتونين تخفض العدوان عند الفئران .

ونظراً لأن مستويات السيروتونين تتصل بالإكتئاب ، فإن الاكتئاب يعرّف بطريقة إيجابية بأنه إحدى النتائج طويلة المدى للعقاب البدنى فى مرحلة الطفولة. ويمكن من خلال ذلك تفسير سبب رؤية سلوكيات إيذاء الذات أكثر

---

(١) تحت شعورى Subconscious : لفظ يطلق على عمليات من نفس مرتبة العمليات الشعورية لولا حدوثها خارج الوعى الشخصى للفرد، ويستعمل غالباً كمرادف للاشعور unconscious ، أو العمليات النفسية التى تحدث على هامش الوعى أو التى تقع أدنى عتبة الشعور. وقد شاع المصطلح كاسم فى قائمة مصطلحات فرويد كمنطقة انتقالية لابد أن تمر خلالها المواد المكبوتة وهى فى طريقها من اللاشعور الى الشعور – والمرادف ما قبل الشعور Preconscious . كما يستخدم المصطلح كصفة لعمليات لايكون الفرد واعياً بها لكن يمكن الاتيان بها الى الشعور . وتقع كثير من الذكريات ضمن هذا الصنف (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس ، جـ٢، القاهرة : وكالة الاهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٤٣٤).

(٢) السيروتونين : انظر ص : ٢٧

تكراراً بين الذين تمت معاقبتهم بدنياً فى مرحلة الطفولة عن تكراره بين بقية الناس . (Malinosky - Rummell and Hansen, 1991).

ومن الواضح أن أبرز نقطة للبحث فى هذا المجال هى إفتراض أن إيلام الذات قد ينشأ بسبب الانخفاض فى أجهزة الإرسال العصبية فى المخ . neurotransmitters(١).

إن الشواهد التى قدمها فينشل وستانلى Winchel and Stanley (١٩٩١) تؤكد أنه برغم أن أجهزة التخدير والتنويم Opiate and dopaminergic لا يبدو أنه ضمن سلوكيات إيذاء الذات ، إلا أن جهاز السيروتونين يؤثر على هذه السلوكيات. فالعقاقير التى تقدم السيروتونين أو تمنع نقصه (بالتالى تجعله يتوافر للمخ) تؤثر على سلوك إيذاء الذات.

---

(١) أجهزة الارسال العصبية فى المخ neurotransmitters : يقوم الجهاز العصبى على مجموعة من المشتبكات العصبية Synapses التى تكون شبكة معقدة من التوصيلات تعمل فى شكل أنظمة عصبية لكل منها المادة الكيميائية – الموصل – الخاصة بها والتى يستخدمها كل نظام فى توصيل الدفعة الكهربية ... اذ تحدث حالة التنبيه عندما يصل المثير الى درجة من الشدة بما يسمح بانتقال الدفعات العصبية عبر الخلايا العصبية فى منطقة المشتبكات العصبية حيث تتفجر مجموعة من المواد الكيميائية العصبية التى تستثير جسم الخلية العصبية الأخرى لتبدأ سلسلة جديدة من التوصيلات . ويوجد عدد كبير من المواصلات الكيميائية فى الجهاز العصبى يقرب عدد ما اكتشف منها حتى الآن حوالى ٥٠ موصلاً أشهرها : النورأدرينالين، والاسيتايل كولين، والدوبامين ، والسيروتونين، والهيستامين... وغيرها ، وتنتشر هذه الموصلات عبر الجهاز العصبى بنسب مختلفة وفى مناطق مختلفة (سامى عبد القوى : علم النفس الفسيولوجى ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٤٥–١٤٨).

ويفترض كلاً من ثينشل وستانلى Winchel and Satley وجود علاقة بين هذه الحقيقة والتشابهات الاكلينيكية لاضطراب الوسواس القهرى [1] (المعروف أن العقاقير المعززة للسيروتونين تساعد فى حدوث هذا الاضطراب) وسلوك إيذاء الذات . كما لاحظا أيضاً أن بعض عقاقير ثبات المزاج (مثل تيجرتيول Tegretol والديباكوت Depakote) ، يمكنها تثبيت هذا النوع من السلوك وتجعله مستقراً .

قدم كوكارو وزملاؤه .Coccaro et al (١٩٩٧ - جـ) الكثير لتأييد الإفتراض الذى يقول : أن عجز جهاز السيروتونين يعتبر متضمناً فى سلوك إيذاء الذات .

ولقد وجدوا أن **القابلية للاستثارة irritability** [2] هو الجوهر السلوكى المرتبط بوظيفة السيروتونين، وأن نمط السلوك العدوانى يظهر إستجابة للتهيج ، والإثارة التى تعتمد على مستوى السيروتونين .. فإذا كان مستواه طبيعياً فإن التهيج يظهر فى شكل صراخ ، إلقاء الأشياء، وإذا كان مستواه منخفضاً يزداد العدوان وتتصاعد الإستجابات وردود الفعل للإثارة والتهيج لدرجة إيذاء الذات ، الإنتحار ، والهجوم على الآخرين.

ولقد وجد سيمون وآخرون .Simeon et al (١٩٩٢) أن سلوك إيذاء الذات يرتبط ارتباطاً سلبياً بعدد من المواقع الخاصة بتماسك صفائح الاميبرامين Platelet imipramine binding (فكلما كان عددها بسيطاً عند القائمين بإيذاء الذات فان السيروتونين ينشط)، وقد لاحظوا أن هذا قد يعكس الخلل

---

(١) اضطراب الوسواس القهرى : أنظر ص : ١٤

(٢) القابلية للاستثارة : أنظر ص : ٢٩

الوظيفى لمركز السيروتونين مع إنخفاض إنطلاق السيرتونين فى منطقة الغشاء قبل المشتبكى Pre - synoptic [1]... إن الخلل الوظيفى للسيروتونين قد يسهل عملية تشويه الذات". Self - mutilation.

بالاضافة لذلك : فعندما يتم دراسة تلك النتائج فانه يجب النظر الى الأعمال التى قدمها ستوف وآخرون .Stoff et al (١٩٨٧) ، وبيرماهر وآخرون .Birmaher et al (١٩٩٠) حيث أن تلك الأعمال تربط إنخفاض عدد مواقع صفائح الامبيرامين imipramine binding بالاندفاعية والعدوان . ويبدو أن أغلب التصنيفات ملاء مة لسلوك إيذاء الذات هى تلك التى تجعله مثل اضطراب التحكم فى الاندفاع[2] الذى يشبه هوس

---

(١) منطقة الغشاء قبل المشتبكى Pre-synoptic : فعلى نحو ما ذكر : فان نظام التوصيل الكيميائى العصبى يتكون من مجموعة من الأجزاء العصبية بعضها ينتهى الى نهاية المحور العصبى للخلية، والبعض الآخر الى الخلية العصبية الأخرى التى ينتقل اليها التوصيل. وتعتبر منطقة الاشتباك بين خلية عصبية وأخرى هى ما يطلق عليه المشتبك العصبى synapse اذ يوجد بها نهاية محور عصبى لخلية عصبية ، وفى هذه النهاية توجد مجموعة من الحبيبات vesicle التى تحتوى على الموصلات الكيميائية ، كما يوجد غشاءان : الأول : فى نهاية هذا المحور وهو ما يطلق عليه الغشاء قبل المشتبكى Pre-synaptic membrance حيث يوجد قبل المشتبك العصبى ، والثانى يوجد فى الجزء الآخر من هذا النظام ويطلق عليه الغشاء بعد المشتبكى Post-synaptic أى يقع بعد المشتبك العصبى ويتم فيه استقبال المواد الكيميائية (سامى عبد القوى : علم النفس الفسيولوجى ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٤٧).

(٢) اضطراب التحكم فى الاندفاع : أنظر ص : ١٥

السرقة Kleptomania [1] وهوس شد الشعر trichotillomania [2] أو القمار القهرى Compulsive gambling[3].

---

(١) هوس السرقة Kleptomania : فكرة متسلطة أو فعل تسلطى لسرقة أشياء ليس للفرد فيها رغبة ، وعدم وجود حاجة اقتصادية ماسة أو رغبة شخصية . وانما يوجد عند الفرد رغبة متسلطة وصراع بالقلق ضد هذه الرغبة ، وينفذ فعل السرقة بوعى شعورى وبمعاناة لاتنقطع، فالسرقة ترتكب غالباً دون احتياط ، والشئ المسروق هو بغير فائدة ، وكثيراً ما يتعلق الأمر بسرقة نفس الشئ دائماً ، ومن ثم : فهو دافع مرضى للسرقة لذا يعرف أيضا بالسرقة المرضية Pathological stealing (كمال دسوقى : ذخيرة. علوم النفس ، جـ٢،القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع، ١٩٩٠، ٧٦٠).

(٢) هوس شد الشعر : جنون تمزيق الشعر - كما فى صور ذهان معينة . ويتميز بدافع لا ضابط له أو تحكماً فيه لاجتثاث الشعر. وقد يكون ميل مرضى لجذب الشعر، أو هوس اقتلاع شعر الجسم أو الرأس أو الحاجبين (كمال دسوقى : ذخيرة . علوم النفس . جـ٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ،١٩٩٠، ١٥٣٣) ويتميز صاحبه بفقدان واضح فى الشعر نتيجة لفشل متكرر فى مقاومة دافع لنتف الشعر. ونتف الشعر يسبقه عادة توتر متصاعد ، ويليه احساس بالراحة أو الرضا. ولايستخدم هذا التشخيص اذا كان هناك التهاب فى الجلد أو اذا كان نتف الشعر استجابه لضلالة أو هلاوس (ICD - 10, 1992) .

(٣) المقامرة القهرية : يتكون هذا الاضطراب من نوبات عديدة ومتكررة من المقامرة ، تسيطر على حياة الشخص على حساب القيم والالتزامات الاجتماعية والمهنية والمادية والعائلية. ومثل هؤلاء الأفراد الذين يعانون من هذا الاضطراب قد يخاطرون بوظائفهم ، ويستدينون مبالغ كبيرة ويكذبون أو يخرقون القانون للحصول على المال أو لتفادى دفع الديون .. ويصف المصابون رغبة ملحة شديدة فى المقامرة يصعب عليهم السطرة عليها، بالاضافة الى الانشغال بأفكار وصور عن عملية المغامرة والظروف المحيطة بها. وتزداد هذه الانشغالات والرغبات الملحة فى الأوقات المثقلة بالكروب من الحياة. ومن المعلوم أن هذا السلوك ليس قهرياً بالمعنى الفنى للكلمة ولايمت بصلة الى العصاب الوسواسى القهرى، لكن السمة الأساسية فيه هى : المقامرة المتكررة بشكل مستديم ، والتى تستمر، وكثيراً ما تزداد بالرغم من عواقبها الاجتماعية الضارة مثل : الوقوع فى الفقر واضعاف العلاقات العائلية واختلال الحياة الشخصية (ICD - 10, 1992) .

ولقد قام هربرتز وفاڤازا Herpertz & Favazza (١٩٩٧) ، هربرتز وآخرون .Herpertz et al (١٩٩٥) بدراسة كيف أن مستويات الدم فى البرولكتين Prolactin تستجيب لجرعة من فينفولرامين - د d-Fenfluramine فى عينات من الأفراد الذين يمارسون سلوك إيذاء الذات والعينات الضابطة - فوجدوا أن استجابة البرولكتين فى عينات إيذاء الذات كانت متبلدة وضعيفة blunted والتى يقترح أنها عجز فى وظيفة المركز قبل المشتبك العصبى "5 - H T" .

ولقد وجد ستاين وآخرون . Stein et al (١٩٩٦) أن هناك تبلداً مشابها فى استجابة البرولكتين فى الفينفلورامين Fenfluramine فى عينات الأفراد المصابين باضطراب الشخصية القهرى ، كما وجد كوكارو وآخرون Coccaro et al. (١٩٧٠) أن استجابة البرولكتين تختلف بشدة حسب درجات أفراد العينة فى مقياس العدوان عبر تاريخ الحياة.

ولم يتضح ما اذا كان سبب هذه المعوقات هو خبرات الصدمة / سوء المعاملة/ الوهن والضعف ، أو يرجع سببها إلى أن بعض أفراد هذا النوع من الشذوذ المخى قد عاشوا صدمات حياتية تمنع من تعلمهم طرقاً فعالة لمواجهة الأسى والتى تجعلهم يشعرون بعدم التحكم فيما يحدث فى حياتهم ، وبالتالى يلجأون إلى سلوك إيذاء الذات كطريقة للمواجهة .

إن أغلب الذين يقومون بتشويه الذات لايمكنهم تفسير ذلك وتوضيحه ولكنهم يعرفون متى يوقفون الجلسه . فبعد إحداث الإيذاء فإن الحاجة تكون - بطريقة ما - الى الرضا، وأن يشعر القائم بإيذاء الذات بالهدوء، والأمان.

ولقد أشارت إحصائية أوردها كونتاريو وفاڤازا Conterio and Favazza (١٩٨٦) إلى أن ١٠٪ فقط من المستجيبين أشارت تقاريرهم الى الشعور بالألم المبرح ، وأشار ٢٣٪ إلى الشعور بألم متوسط (معتدل) ، فى حين أن ٦٧٪ شعروا بألم قليل أو لم يشعروا بألم على الإطلاق. ولقد تناول

القائمون بتشويه الذات عقار نالوكسون Naloxone الذى يرد أو يعكس التأثير (الذى يشمل الإندورفين endorphins [1] ومهدئ آلام الجسد الطبيعى) فى أحدى الدراسات ولكن لم تثبت فاعليتها. (راجع : Richardson and Zaleski, 1986) .

ولقد أثارت هذه النتائج إهتمام هانيز وآخرون .Haines et al فى دراستهم التى وجدت أن خفض التوتر النفس/فسيولوجى Psychophysiological tension [2] قد يكون هو الغرض الرئيسى من

---

(١) الاندورفينات endorphins : هى احدى أفيونات المخ التى يفرزها كل من المخ والغدة النخامية. وتتكون من ٣١ حمضاً أمينياً، ولها قوة هائلة فى تسكين الألم والتى تبلغ فى بعض المواد الى ٥٠ ضعفاً من مفعول الأفيونات الطبيعية. ولذلك يعتقد أن هذه المادة تدخل فى العمليات الخاصة بادراك الألم والسيطرة عليه (سامى عبدالقومى : علم النفس الفسيولوجى . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٥٢-١٥٣).

(٢) التوتر النفس/فسيولوجى Psychophysiological tension التوتر شعور بالشد أو الجهد strain .. احساس عام باختلال التوازن وبأهبة الاستعداد لتبديل السلوك لمواجهة عامل تهديدى للموقف .. وفسيولوجيا : يدل على الشد الذى تحته يبقى انقباض عقلى توتراً على عضلة أو نسيج آخر .. احساس حسحركى يقترن بانقباض العضلات.. كما أنه ظرف قلق وعدم هدوء بال أو استقرار حال تصحبه مشاعر شد عضلى .. والتوتر مصطلح عام يدل على انفلابات الرضا عن النفس أو الاتزان التفاؤلى رأساً على عقب، والجيشان الانفعالى هو المبدأ المميز لفرط التوترات. والتهيج وعدم التآزر وفرط النشاط أعراض شائعة للانقلابات أو التوعكات upsets . ويوجد أساس التوتر النفسى - فسيولوجى فى فعل الجزء السمبثاوى من الجهاز العصبى المستقل. ويقال ان التوترات الفسيولوجية والسيكولوجية نتائج ظروف مثل : مشاكل لم تحل، احباطات متصلة، اثارات مفاجئة وشديدة، وهموم ومشغوليات مطولة. وحسب الطب السيكوسوماتى : فان التوترات التى لم تحل قد يكون لها أثر ضار على الصحة (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس . جـ٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٤٨١).

إيذاء الذات. وقد يحدث ذلك عندما يصل مؤذى الذات إلى مرحلة محددة من الهدوء الفسيولوجى فنجده لم يعد يشعر بالحاجة الملحة لإيلام جسده . إن نقص الألم قد يرجع سببه إلى الإنفصال (التفكك) [1] لدى بعض الأفراد مؤذى الذات، كما يرجع إلى الطريقة التى يقوم بها هذا الشخص – مثل : سلوك التركيز على الآخرين .

٣- تفسيرات السلوكيين Behavioralist explanations

ملحوظة : إن أغلب هذه التفسيرات يتم تطبيقها على أنماط إيذاء الذات مثل التى نراها عند المفحوصين المتخلفين عقلياً والتوحديين.

لقد تم عمل الكثير من الأبحاث فى مجال علم النفس السلوكى فى محاولة لمعرفة وتفسير منشأ سلوك إيذاء الذات. ففى مقابلة أجراها بلفيور وداتيليو Belfiore and Dattilio (١٩٩٠) لدراسة ثلاثة تفسيرات ممكنة . اذ استشهدا بما أورده فيلبس وموزافر Phillips and Muzaffer (١٩٦١) فى وصف إيذاء الذات من خلال المقاييس التى أجرها الأفراد على أنفسهم عندما يريدون "قطع ، أو إزالة ، أو تدمير جزء من البدن" . ولقد وجدت هذه الدراسة أيضاً أنه رغم أن تكرار إيذاء الذات كان مرتفعاً عند الإناث ، لكنه عند الذكور أكثر شده . ولقد أوضح بلفيور وداتيليو Belfiore and Dattilio أيضاً أن مصطلحات " إيذاء الذات" ، " تشويه الذات" خادعه، وأن الوصف الذى قدماه أعلاه لايناقش الهدف من السلوك . وفيما يلى بعض التفسيرات السلوكية :

---

(١) الانفصال (التفكك) dissociation : انظر ص : ٤١.

أ - الإشراط الإجرائى Operant Conditioning (١)

ينبغى ملاحظة أن التفسيرات المتعلقة بالإشراط الاجرائى تكون كثيره الفائدة عند تناول أنماط إيذاء الذات ، وتكون قليلة الأهمية مع السلوك العرضى / التكرارى episodic / repetitive behavior.

إن هناك منظورين منهجيين يضعهما أمامه كل من يرغب فى تفسير إيذاء الذات فى حدود الاشتراط الاجرائى. أحدهما : هو أن الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات يتم تدعيمهم بشكل إيجابى من خلال الانتباه إليهم فيميلون لتكرار سلوكيات إيلام الذات. وهناك متضمن آخر لهذا المنظور هو أن الإستثارة الحسية المرتبطة بإيلام الذات يمكنها أن تعمل كمدعم إيجابى (٢) وبالتالى تعتبر

---

(١) الاشتراط الاجرائى : الاشراط أو التشريط : عملية بها تصل استجابة ما الى أن يبعثها تنبيه أو شئ أو موقف غير تلك التى هى استجابته العادية أو الطبيعية. وقد ارتبط لفظ الاشراط فى علم النفس بالاشراط الكلاسيكى (اشراط بافلوف) : ويدل على العملية التى فيها يمكن أن يبعث استجابة ما تنبيه متعادل (محايد ، أو خامل ، أو غير ذى بال) تتكرر مزاوجته مع مدعم ما . فالتنبيه المحايد يسمى التنبيه المشروط ، والمدعم هو التنبيه غير المشروط. وفى الاستجابة الطبيعية أو غير المشروطة (أى الاستجابة المتعلمة) فهى الاستجابة المشروطة . أما التشريط الاجرائى أو الادائى - الذى نحن بصدده - يسمى أحياناً التشريط الفاعل : فانه يدل على نوع التشريط الذى فيه يصبح التدعيم طارئاً، وتكون استجابة آلية (أدائية) مشروطة قد أنشئت . ولكون التدعيم الأدائى يمكن أن يكون سلبياً، فتعلم الهروب من تنبيه ضار هو أيضاً تشريط أدائى.

(٢) التدعيم reinforcement : أى ظروف أو ملابسات تقوى ارتباط استجابة بتنبيه. أى حال أو حدث يزيد من احتمال كون استجابة سوف تتجدد فى موقف مثل الذى حدث فيه أصلاً ظروف التدعيم . وللتدعيم أشكال متعددة نذكر منها فى هذا السياق :

- المدعم الايجابى Positive reinforcer : وهو تنبيه يؤدى الى تقوية استجابة ما، أو زيادة احتمال حدوث الاستجابة بتقديم ثواب أو إثابة reward.
- المدعم السلبى Negative reinforcer : لتعليم المرء ألا يقوم باستجابة ما يتم اعطائه تنبيها غير مُرض أو عقابياً أو مزيداً من التوتر (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس، جـ٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٢٥٤-١٢٥٥).

مثيرات لمزيد من إيذاء الذات.

ويفترض المنظور الآخر : أن الأفراد يؤذون الذات لكى يتخلصوا من بعض المثيرات الشديدة أو المؤلمة (إنفعالية ، نفسية، أياً كانت)..

إن هذا المنظور السلبى للتدعيم أيدته الأبحاث التى توضح أن شدة إيذاء الذات يمكن زيادتها من خلال زيادة متطلبات الموقف. فايلام الذات يعتبر طريقة للهروب من الآلام الانفعالية غير المحتملة .

ب- التلامسات الحسية Sensory Contingencies

أحد الإفتراضات طويلة المدى يرى أن الذين يقومون بإيذاء الذات يحاولون خفض مستويات الاثارة الحسية . إذ أن مؤذىً الذات قادرون على زيادة الإثارة الحسية أو خفضها من خلال إخفاء / أو حجب masking المدخلات الحسية الأكثر إثارة للإكتئاب من إيلام الذات .

ويتصل ذلك بما وجده هاينز ووليامز Haines and Williams (١٩٩٧) من أن إيذاء الذات يقدم انطلاقة سريعة ومفاجئة من التوتر والاثارة الفسيولوجية.

ولقد استنتج كاتالدو وهاريس Cataldo and Harris (١٩٨٢) أن نظريات الإثارة برغم أنها مشبعة ومرضية إلا أنها تتطلب مراعاة الأسس البيولوجية لهذه العوامل المرتبطة بإيذاء الذات.